

روح المعاني

المرآة بحدوث الصقالة وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقيل وقد قال بذلك من الفلاسفة أرسطو ومتبعوه واستدلوا عليه بأنها لو كانت موجودة قبل الأبدان فإما أن تكون واحدة أو كثيرة وعلى الأول إما أن تتكثر عند التعلق بالبدن أولا فإن لم تتكثر كانت الروح الواحدة روحا لكل بدن ولو كان كذلك لكان ما علمه إنسان علمه الكل وما جهله جهله وذلك محال وإن تكثرت لزم انقسام ما ليس له حجم وهو أيضا محال وعلى الثاني لابد أن يمتاز كل واحدة منها عن صاحبها إما بالماهية أو لوازمها أو عوارضها والأولان محالان لأن الأرواح متحدة بالنوع والواحد بالنوع يتساوى جميع أفرادها بالذاتيات ولوازمها وأما العوارض فحدوثها إنما هو بسبب المادة وهي هنا البدن فقبله لا مادة فلا يمكن أن يكون هناك عوارض مختلفة وبعد أن ساق حجة الإسلام الدليل على هذا الطراز قيل له : ما تقول في خبر أن ا □ تعالى خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام وقوله صلى ا □ تعالى عليه وسلم : أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا وكنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال C تعالى : نعم هذا يدل بظاهره على تقدم وجود الروح على الجسد ولكن أمر الظواهر هين لسعة باب التأويل وقد قالوا : أن البرهان القاطع لا يدرأ بالظاهر بل يؤول له الظاهر كما في ظواهر الكتاب والسنة في حق ا □ تعالى المنافية لما يدل عليه البرهان القطعي وحينئذ يقال : لعل المراد من الأرواح في الخبر الأول الملائكة عليهم السلام وبالأجساد أجساد العالم من العرش والكرسي والسموات ونحوها وإذا تفكرت في عظم هذه الأجساد لم تكذب تستحضر أجساد الآدميين ولم تفهمها من مطلق لفظ الأجساد ونسبة أرواح البشر إلى أرواح الملائكة عليهم السلام كنسبة أجسادهم إلى أجساد العالم ولو انفتح عليك باب معرفة أرواح الملائكة لرأيت الأرواح البشرية كسراج اقتبس من نار عظيمة طبقت العالم وتلك النار هي الروح الأخير من أرواح الملائكة .

وأما قوله E : أنا أول الأنبياء خلقا فالخلق فيه بمعنى التقدير دون الإيجاد فإنه صلى ا □ تعالى عليه وسلم قبل أن يولد لم يكن مخلوقا موجودا ولكن الغايات سابقة في التقدير ولاحقة في الوجود وهو معنى قول الحكيم : أول الفكر آخر العمل فالدار الكاملة أول الأشياء في حق المهندس مثلا تقديرا وآخرها وجودا وما يتقدم على وجودها من ضرب اللبن ونحوه وسيلة إليها ومقصود لأجلها ولما كان المقصود من فطرة الآدميين إدراكهم لسعادة القرب من الحضرة الإلهية ولم يمكنهم ذلك إلا بتعريف الأنبياء عليهم السلام كانت النبوة مقصودة والمقصود كمالها وغايتها لا أولها وتمهيد أولها وسيلة إلى ذلك وكمالها به صلى ا □ تعالى عليه وسلم

فلذلك كان أولا في التقدير وآخرا في الوجود وقوله E : كنت نبيا وآدم بين الماء والطين إشارة إلى هذا أيضا وأنه لم يشأ سبحانه خلق آدم إلا لينتزع الصافي من ذريته ولم يزل يستصفي تدريجا إلى أن بلغ كمال الصفا ولا يفهم هذا إلا بأن يعلم أن للدار مثلا وجودين وجودا في ذهن المهندس حتى كأنه ينظر إلى صورتها ووجودا خارج الذهن مسببا عن الوجود الأول فهو سابق عليه لا محالة .

وحينئذ يقال : أن الله تعالى يقدر أولا ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا والتقدير يرسم في اللوح المحفوظ كما يرسم تقدير المهندس أولا في لوح أو قرطاس فتصير الدار موجودة بكمال صورتها نوعا من الوجود يكون سببا للوجود الحقيقي وكما أن هذه الصورة ترسم في لوح المهندس بواسطة القلم والقلم يجري على وفق العلم بل العلم يجريه كذلك تقدير صور الأمور الإلهية ترسم أولا في اللوح المحفوظ بواسطة القلم الإلهي والقلم يجري